Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وعلى النمط نفسه نراه فى مدحته لمحمد بن الهيثم بن شبانة ، يقف طويلا عند « غيمة » ثم ينتقل برهافة من كرم السحاب إلى كرم الممدوح ، فكأنه يفرع على نغمة أصلية هى نغمة السخاء فى الطبيعة فى الأساس ، يقول أبو تمام :

دِيَمَةٌ سَمْحَةُ القِيَادِ سَكُوبُ ... مُسْتَغِيثٌ بِهَا الثَّرَى المَكْرُوبُ
لَوْسَعَت بُقْعَةٌ لإِعْظَامِ نُعْمَى ... لَسَعَى نَحْوَهَا المكَانُ الجَدِيبُ
فَهِيَ مَاءٌ يَجْرِي وَمَاءٌ يَلِيهِ ... وَغَزَالٌ تُنْشَى وَأُخْرَى تَذُوبُ
كَشَفَ الرَّوْضُ رَأْسَه واسْتَسَرَّ ... المَحْلُ مِنْهَا كَمَا اسْتَسَرَّ المُرِيبُ
فإذا « الرَّيُّ » بَعْدَ مَحْلٍ « وجَرْجَا ... نُ » لَدَيْهَا « يَبْرِينُ » أَو « مَلْحُوبُ »(١٧١)

يقول : الجدب أصاب الرى وجرجان ، ثم جاءهما المطر فأخصبتا ، فكأنهما يبرين ، أو ملحوب ، وهما موضعان من أرض العرب .

ويمكن أن نرى هذا فى مدحته لأحمد بن دؤاد التى أولها :

سَقَى عَهْدَ الحِمَى سَبَلُ العِهَادِ ... ورَوَّضَ حَاضِرٌ مِنْهُ وبَادِ(١٧٢)

والملاحظ ــ مما تقدم ــ أن الطبيعة عنده فى حالة حركة ونمو ؛ فالثرى مكروب ، والماء يجرى ، والروض يكشف رأسه . . الخ ، كما أنها فى حالة إنسانية ، فالإنسان يهدر فى عروقها ويحل فى اخضرارها ويتماوج فى كل ما تعطى ، ثم إن السحاب والمزن والديم والغيث والمطر والبرق ومشتقاتها تعادل عنده الخصب والنماء والاستمرار فى الحياة ، وكثيراً ما يصرح أن الصلة بين أجزاء الطبيعة هى تلك الصلة التى تكون بين الذكورة والأنوثة والتى تكون ثمرتها الامتلاء والحمل والولادة .

وهو ليس مجرد وصاف للطبيعة ومحاك لها ؛ ذلك لأنه يجعلها جزءاً من لوحة كبيرة ، ومن خلال هذا الجزء يستنبط الحكمة ويرمز إلى قضايا الحياة الكبيرة ، ويطرح عليها المشكلات الإنسانية وهمومه الشخصية . ومن هنا فهو لا يحاكى الطبيعة ، وإنما يخلق منها مثلما تخلق ، فهو ــ على كل ــ فى حالة وصف

(١٧١) المصدر نفسه ١ : ٢٩١ ، ٢٩٢ .
(١٧٢) المصدر نفسه ١ : ٣٦٩ . وسبل العهاد : مطر من أمطار الربيع يجىء بعضها فى إثر بعض .